أسماء الله الحسنى

30

الرَّشِيدُ الصَّبُورُ

بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
إشراف: أ. حمدى مصطفى

الرَّشِيدُ

مِنْ صفاتِ اللَّهِ (تعالَى) الْعُظْمَى أَنهُ الرَّشِيدُ : أى الْهادى الذى يَهْدى عِبادَهُ إلى طَريقِ الرَّشَدِ والرُّشْدِ ، وقدْ أَرْشَدَ اللَّهُ عِبادَهُ إلى كُلِّ الخيرِ والْحَقِّ ، عنْ طريقِ رُسُلِهِ وكُتُبِهِ السَّماوِيةِ التى احْتَوَتْ على كُلِّ ما يحتاجُ إليه الْعِبادُ .

فالقرآنُ الْكَريمُ قد احْتوى على كُلِّ ما يَحتاجُ إليه الْمُسلمُ فى حَياتِه ؛ فى عباداتِه ومُعامَلاتِه وأَخْلاقِه ، وهو الْكِتابُ الذى ينْطِقُ بالْحَقِّ ويَهْدى إلى الرُّشْدِ .

قالَ (تعالَى) : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨)

فاللهُ (تعالَى) لم يتركْ من أمرِ الدِّينِ شيئًا إلا وقدْ دلَّل عليه في القرآن ، إمَّا دلالةً مُبيِّنةً مشروحةً ، وإما مُجملَةً يتولَّى الرسولُ ﷺ بيانَها وتوضيحَها ، وذلكَ مثْلُ أمرِ الصَّلاةِ والزكاة ، حيثُ لمْ يُبيِّن اللهُ لنا في القرآنِ كيْفيَّةَ الصَّلاةِ ولا قيمةَ الزَّكاة ، ولكنَّ الرسولَ ﷺ وضَّحَ ذلك وفسَّرَهُ في أحاديثِه الشَّريفة . فقال: «صلُّوا كما رأيْتُمُوني أُصلِّي » ، كما أوضحَ لنا أنْواعَ الزَّكاةِ وقيمتَها بشكْلٍ دقيقٍ .

ولا شكَّ أنَّ منْ يسيرُ على هدْيِ القرآنِ ، فقدْ هُدِيَ إلى صراطٍ مُستقيمٍ ، لأنهُ كتابُ اللهِ الرَّشيدِ العْليمِ الخبيرِ الذي أحاطَ بكُلِّ شيءٍ علمًا .

قالَ (تعالَى) : ﴿ وأنَّا لمَّا سمعْنا الهُدَى آمنَّا به فمنْ يُؤمنْ بربِّه فلا يخافُ بخْسًا ولا رهَقًا ۞ وأنَّا منَّا المُسلمونَ ومنَّا القاسطونَ فمنْ أسلمَ فأُولئكَ تحرَّوْا رشدًا ﴾

(سورة الجن: ١٣، ١٤)

ولأنَّ القرآنَ الكريمَ هو سبيلُ الرَّشادِ وطريقُ الخلاصِ

لكلِّ المُسْلمين ، فقدْ كانَ النبيُّ ﷺ حريصًا على تلاوتِه وتدبُّرِ معانيه ، حتى قالتْ عنهُ السيِّدةُ عائشةُ : كانَ خُلُقُهُ القُرآنُ . كما كانَ حريصًا على أنْ يُحافظَ صَحابتُهُ والمُسْلمونَ من بَعْده على تلاوتِه ومُدارستِه ، حتى لا يضلُّوا ولا يزيغُوا .

فعنْ عُثْمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ اللَّه ﷺ : « خيْرُكُمْ منْ تعلَّمَ الْقُرآنَ وعلَّمهُ » (رواه البخاري)

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « إنَّ الذى ليْس فى جوْفِه شيءٌ منَ الْقرآنِ كالْبيْتِ الْخرِبِ » (رواه الترمذي)

قال (تعالَى) : ﴿ وإذا سألَكَ عبادى عنِّى فإنِّى قريبٌ أُجيبُ دعْوةَ الدَّاعِ إذا دعانِ فلْيسْتجيبُوا لى ولْيُؤمنُوا بى لعلَّهُمْ يرْشُدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦)

إنَّ اللَّهَ (تعالَى) لا يأْمرُ إلا بالْخيرِ ولا يهْدى إلا إلى الرُّشْدِ ، ولا ينْهى إلا عنِ الْخبثِ والضَّلالِ ، ولذلكَ فإنَّ الْمسلِمَ الذى يتَّبعُ أوامرَه فإنه يكونُ بذلك منَ الرَّاشدينَ

الْمُهْتَدِينَ ، وَالتَّارِيخُ يُثْبِتُ لنا أن كلَّ مَن اتَّبع أَوامِرَ اللَّه ، هداهُ اللَّهُ إلى الرَّشَد والْعَدل والاعْتدال ، أَما مَنْ حَادَ عنْ مَنْهجِ اللَّه ، فـقـدْ زاغَ قَلْبُـهُ وظَنَّ أنَّهُ على حقٍّ ، وذلك كَفرعَوْنَ وهَامَان وجُنُودهمَا ، حيثُ كانَ فرعَوْنُ يظنُّ أَنهُ يدعو قَوْمَه إلى الرَّشاد والْهُدَى .

قال (تعالَى) : ﴿يا قَومِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

(سورة غافر: ٢٩)

ومِنْ مـعـانى اسْـمـه (تعـالَى) « الرَّشِـيد » أَيْضًـا : أَنه الْحَكِيمُ ، أَى الحَكِيمُ الْمُطْلَق فى أَفعاله وأَقواله ، فـهـو (تعالَى) يتصرَّفُ بحكْمَة بالغة ، ويُعْطى للْعُصاة الْفُرصَةَ بعدَ الْفـرصَـة كى يَتُـوبُوا ، فـهـو لا يُعجِّلُ بالْعُـقُـوبَة ولا بالذَّنْب ، وكلُّ شيء فى الْكَوْن مخْلوقٌ بحكْمة بالغة ، وله غاية لا يعْلمُها إلا اللَّهُ (تعالَى) الْحكيمُ الْخبيرُ .

وكـانَ الرسـولُ ﷺ يدعو ربَّه باسْـمه (تعالَى) الرَّشِيد

كما يدعُوه بأحبِّ أسمائه إليه ، ومنْ دُعائه ﷺ :

« اللهمَّ إنى أسألُك رحمةً منْ عندكَ تهْدى بها قلْبى ، وتجمعُ بها شمْلى ، وتلُمُّ بها شعْثى ، وتردُّ بها الْفتنَ عنِّى ، وتُصلحُ بها دينى ، وتحفظُ بها غائبى ، وترفعُ بها شاهدى ، وتزكِّى بها عملى ، وتُبيِّضُ بها وجْهى ، وتُلْهمُنى بها رُشْدى ، وتعْصمُنى بها من كلِّ سوء ، اللهمَّ هذا الدعاءُ وعليكَ الإجابةُ ، وهذا الْجُهْدُ وعليكَ التُّكْلانُ ، وإنا للَّه وإنا إليه راجعونَ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّه الْعلىِّ الْعظيمِ ، ذى الْحبْلِ الشَّديد والأمرِ الرَّشيد » .

فالرسولُ ﷺ ، وهو أفْضلُ خلْق اللَّه ، وهو الْهادى الْبَشير ، يسألُ ربَّه فى خشوعٍ وتذلُّلٍ أنْ يُرشدَهُ إلى طريق الْهداية وأنْ يُلْهمَهُ رُشْدهُ .. فما أحوجنا نحنُ إلى الْهداية والرَّشاد ! اللهمَّ آتِ قلوبنا تقواها ، وزكِّها أنت خيرُ منْ زكَّاها ، أنت وليُّها ومولاها .

الصَّبُورُ

عنْ أَنَسِ بنِ مَالكٍ رضيَ اللَّهُ (تعالى) عنهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ:

«تُنْصَبُ الْموَازِينُ فَيُؤْتَى بأَهْلِ الصَّدقةِ فيُوفَّوْنَ أُجُورَهم بالْموازِينِ، وكذلكَ الصَّلاةُ والحجُّ، ويُؤْتَى بأَهْلِ الْبلاءِ فلا يُنصَبُ لهمْ ميزانٌ ولا يُنْشَرُ لهم ديوانٌ، ويُصَبُّ عليهمُ الأَجْرُ بغيرِ حسابٍ».

قالَ (تعالى): ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة الزمر: ١٠)

فسبحانَ ربِّى الصَّبورُ الذى يُحبُّ الصَّابرينَ ويَجزيهم بغيرِ حساب . وهو (سُبْحانَهُ وتعالى) الذى لا تَحْمِلُهُ الْعَجَلَةُ على الانْتقامِ من الظَّالمينَ ، ولكنهُ يُمْهِلُهُمْ ويَمْنَحُهُمُ الْفُرصَةَ لكى يعودُوا إلى رحابه ، وهذا هو عَيْنُ الصَّبْرِ والصَّفْحِ الْجَميلِ منَ اللَّهِ (تعالى) .

فاللَّهُ (تعالَى) لا يأْخذُ الإنْسانَ بذنْبِه مُباشَرةً ، ولكنهُ يعْطيهِ الفُرصَةَ للتَّوْبَةِ ، وهذا دليلٌ على رحْمةِ اللَّهِ (تعالَى) لأنَّ اللَّهَ (عزَّ وجلَّ) إذا عاقَبَ كُلَّ إنْسانٍ على ذَنْبِه لاستحقَّ الْجميعُ الْعُقوبَةَ ، لأنَّ الْبَشرَ منْ طباعِهِمُ التَّقْصيرُ والْمعصيةُ .

قالَ (تعالَى) : ﴿ولَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تركَ علَى ظَهْرِها منْ دابَّةٍ ولكنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلَى أجلٍ مُسمًّى فإذا جاءَ أجلُهُمْ فإنَّ اللَّهَ كانَ بِعبادِهِ بَصيراً﴾

(سورة فاطر : ٤٥)

وليس معْنى هذا أن يغْترَّ الإنسانُ بصَبْرِ اللَّهِ ورَحْمتِه ، فيتمادَى فى الْمعْصيةِ والضَّلالِ ، لأنَّ اللَّهَ (تعالى) إذا عاقبَ العاصيَ والظَّالمَ كانَ عقابُهُ أليماً .

ويُعَدُّ الصَّبرُ بالنِّسبة للعَبْد منْ أحبِّ الصِّفات التى يُحبها اللّهُ (تعالَى) ، لأن الصَّبْر دليلٌ على الرِّضا والتَّسليم المُطْلَق بأمْرِ اللّه ، ولوْ لمْ يكنِ الصَّبْرُ من أعْلَى الْمراتب وأحبِّ الأخْلاق إلى اللّه ، لما أمر اللّهُ (تعالَى) به رسُلَهُ ، ولما مدحَ اللّهُ الصَّابرينَ والرَّاضين بالْبلاء .

قال (تعالَى) : ﴿ واذْكُرْ عبْدنا أيُّوبَ إذْ نادَى ربَّهُ أنِّى مسَّنِى الشَّيْطانُ بنُصْبٍ وعذابٍ * ارْكُضْ برجْلكَ هذا مُغْتسلٌ باردٌ وشرابٌ * ووهبْنا لهُ أهْلهُ ومثْلهُمْ معهُمْ رحْمةً منَّا وذكْرَى لأُولى الألْباب * وخُذْ بيدكَ ضغْثًا فاضْربْ به ولا تحْنثْ إنَّا وجدْناهُ صابرًا نعْمَ الْعبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ ﴾

(سورة ص : ٤١-٤٤)

وقدْ قيل : الْعُسْر يعْقُبُه الْيُسْرُ ، والشِّدَّةُ يعْقُبها الرَّخاءُ ، والتَّعبُ يعْقُبهُ الرَّاحةُ ، والضِّيقُ يعْقُبهُ السَّعةُ ، والصَّبْرُ يعْقُبهُ الْفرَجُ ، وعنْد اشْتداد الأزْمة تنزلُ الرَّحمةُ ، والْموفَّقُ منْ رزقهُ اللّهُ صبْرًا وأجْرًا ، والشَّقىُّ منْ ساقَ إليه الْقدرُ جزعًا ووزْرًا .

وقدْ رُوى عن النَّبى ﷺ أنه قال : « الصَّبْرُ ثلاثةٌ : صبرٌ على

الْمُصيبَة ، وصبرٌ على الطَّاعة ، وصبرٌ عن الْمَعْصية ، فَمَنْ صبر على الْمصيبة حتَّى يردَّها بِحُسْنِ عزائها ، كتب اللَّهُ له ثلاثمائة درجة ، ما بيْن الدَّرجة إلى الأُخْرى كما بيْن السماءِ والأرْض ، ومنْ صبر على الطَّاعة كتب له ستمائة درجة ، ما بيْن الدَّرجة إلى الدَّرجة كما بيْن تُخُوم الأرْض إلى مُنْتهى الْعرْش ، ومَنْ صبر عن المعصية كتب اللَّهُ له تسْعمائة درجة ، ما بيْن الدَّرجة إلى الدَّرجة كما بيْن تُخُوم الأرْض إلى مُنْتهى الْعرْش مرَّتيْن » (أخرجه ابنُ أبي الدُّنيا)

ويقولُ اللَّهُ (تعالى) : ﴿ والَّذين صبرُوا ابْتغاء وجْه ربِّهِمْ وأقامُوا الصَّلاة وأنْفقُوا ممَّا رزقْناهُمْ سرًّا وعلانيةً ويدْرءُون بالْحسنة السَّيِّئة أُولئك لهُمْ عُقْبى الدَّار * جنَّاتُ عدْنٍ يدْخُلُونها ومنْ صلح منْ آبائهمْ وأزْواجهمْ وذُرِّيَّاتهمْ والْملائكةُ يدْخُلون عليْهِمْ منْ كُلِّ باب * سلامٌ عليْكُمْ بما صبرْتُمْ فنعْم عُقْبى الدَّار ﴾ (سورة الرعد: ٢٢-٢٤)

ولعلَّ الإنسانَ حين يتفكَّرُ في الآيات القرآنية الْكريمة والأحاديث الشَّريفة التي تحثُّ على الصَّبْر وتدْعو

للتمسُّك به ، يجدُ أنَّ اللّه (تعالى) قدْ وضعَ لنا الْعلاجَ النَّاجعَ لكلِّ مشاكلنا عنْ طريقِ هذا الْخُلُقِ الْعظيمِ . فمُعْظمُ الْمعاصِي والْجرائمِ والْمُخالفاتِ تُرْتكبُ بسببِ السُّرْعةِ والتَّهوُّرِ والْعجلةِ ، ولو تأنَّى الإنسانُ وصبرَ وكظمَ غيْظَه كما أمرهُ اللّهُ ، لما وقعَ فى الْمعْصيةِ . فالإنسانُ قدْ يتعرَّضُ للْمُضايقاتِ فى الْعملِ أوْ فى الْبيْتِ أوْ فى الشَّارعِ ، وقدْ يُخْرجُهُ ذلك عنْ شعُورِه فيُخطئُ ، غيْرَ أنَّ الإسْلامَ أمرَهُ بغيْرِ ذلك ، حيثُ أمرهُ بالصَّبْرِ وتحمُّلِ الأذى .

فعنْ أبى هُريْرةَ ﵁ ، أنَّ رجُلاً قال للنبىِّ ﷺ : « أوْصنى ، قال : « لاتغْضبْ » ، فردَّدَ مرارًا ، قال : « لا تغْضبْ » . (رواه البخارى)

إنها وصيَّةٌ بسيطةٌ وقصيرةٌ ، ولكنَّها عظيمةُ الأثرِ ، وكفيلةٌ بأنْ تحلَّ الْكثيرَ منَ المشاكلِ التى نراها الْيومَ ، فما أحْوجنا إليها ، وما أشدَّ احْتياجنا لكلِّ ما قاله الرسولُ ﷺ !

اللهمَّ اشْرحْ صُدُورنا بالإيمانِ ، واجْعلْنا منَ الصَّابرينَ الذين يرْضوْنَ بما قسمْتهُ لهمْ ، حتى نُوفَّى أجُورنا بغيْرِ حسابٍ .

رقم الإيداع : ٩٢٠٨ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : ٩ - ٦٣٥ - ٢٦٦ - ٩٧٧

وفي الختام لنا كلمة

صديقي العزيز ، لقد انتهت رحلتنا مع أسماء الله الحسنى عبر هذه السلسلة ، وفي نفس اللحظة بدأت مسئوليتنا تجاه هذه الأسماء !

لا تنس - صديقي - أننا اتفقنا على أن حفظ الأسماء الحسنى ، لا يعني القدرة على ترديدها أو استدعائها من الذاكرة ، لكنّ حفظ هذه الأسماء - والذي يوجب الجنة - كما قال رسول الله (ﷺ) - يعني أن نعي حقيقة هذه الأسماء ومعانيها ، وأن نعيش في رحابها بعقولنا وقلوبنا وأرواحنا ، فتسمو هذه النفوس ، وتحلق هذه الأرواح ، ويرقى الإنسان إلى مستوى الاختيار ؟ ﴿ ولقد كرّمْنا بني آدم وحَمَلْنَاهُمْ في البَرِّ والبَحْرِ ﴾ .

فإذا كنا قد عشنا مع هذه الأسماء وأدركنا بعض أسرارها ومعانيها بما فتح به الله علينا ، فالآن هيا لنترجم هذه الأقوال إلى أفعال .

فإذا كنا قد عرفنا أن من معاني اسمه تعالى « الله » أنه لا معبود بحقّ إلا الله ، فهيا نخلص لله ، ولا نخشى إلا الله ، فهو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي منحنا سرّ الحياة ، وهو - وحده - القادر على أن يسلبنا الحياة .

فالله أحقّ أن نخشاه . والله أحق أن نعبده . والله أحق أن نطيعه . والله أحقّ أن ندعوه : ﴿ أمّن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دعاهُ ﴾ ﴿ أإلهٌ مع الله ؟ ﴾ .

ولذلك يجب أن نطيل النظر ، ونتوقف أمام هذا الاسم الأعظم طويلاً ، لأن كل الأسماء الأخرى تابعة له ولاحقة به ، كما يجب أن تلهج ألسنتنا وتتعطر أفواهنا وتتحرك كل حواسنا بذكره ، لكي يمنحنا القوة والثبات واليقين .

وإذا كنا عرفنا أنَّ الله هو الرحمن الرحيم التواب الغفور ،

فإننا لا نيئس أبدًا من رحمته ، فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو أرحم بعباده من أنفسهم ، وأرحم بالعبد من الأم بولدها ، ورحمته وسعت كل شيء ، وهو يرحم العباد جميعًا ، لكنه يخص عباده المؤمنين بالرحمة الخاصة ، فينعم عليهم بالسكينة والاطمئنان ، وفى الآخرة يدنيهم منه ، فينعمون بقربه ورضاه . على أن المسلم الصادق الواعى ، لا يجب أن يغتر بهذه الرحمة ، فيقصِّر فى عمله ويتواكل ، ظنًا منه أن باب الجنة مفتوح على مصراعيه يدخل منه المسلم والكافر ، والطائع لربه والعاصى ، كلا .. فإن سلعة الله غالية ، وسلعة الله هى الجنة - كما قال رسول الله (ﷺ) ! وقد حُفَّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات .. أى أن طريق الجنة يقتضى من المسلم الصبر والاحتمال ، الصبر على الأذى ، واحتمال الصعاب لكى يصل الإنسان إلى مبتغاه ..

ولذلك ، لو تأمل الإنسان فى سائر الأسماء والصفات الحسنى ، فسيجد أن الرحمن الرحيم التواب الغفور يقابله أيضًا الحسيب القهار المنتقم الجبار الضار النافع المتكبر ، فلا ينبغى أن نأخذ جانبًا ونهمل جانبًا آخر . قال تعالى : « نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ » .

فعذاب الكفار والعصاة وحرمانهم من نعيم الجنة ، ليس ظلمًا إنما هو عين العدل ، فقد طغوا وتجبروا وأفسدوا فى الأرض ، وأهلكوا الحرث والنسل ، فهل يُترك هؤلاء دون أن ينالوا عقابهم ؟ وهل يفلت فرعون وهامان وقارون والنمروذ وأبو لهب وأبو جهل وشارون فى نهاية المطاف ؟

إن من عدل الله ورحمته ألا يفلت هؤلاء أبداً . ﴿ وفرْعَوْن ذي الأَوْتَاد الّذينَ طَغَوْا في الْبلاد . فَأكْثرُوا فيهَا الْفَسَاد . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب . إنَّ رَبَّكَ لَبالْمرْصاد ﴾ .

أرأيت ؟ إن ربك لبالمرصاد ! والآن أسألك سؤالاً وأحاول مشاركتك في الإجابة .

هل أنت مشغول بالمستقبل ؟ سأريحك من عناء الإجابة وأقول لك : كل البشر مشغولون بالغد وما يكون فيه . كلهم يفكر ، هل ينجح في حياته ؟ وهل يوفق في اختبار ما ؟ وهل يحقق ثروة ؟ وهل يشفى من هذا المرض ؟ وهل يعمّر طويلاً فيعيش حتى يكون له أبناء وأحفاد وأحفاد أحفاد ؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تلازم الإنسان في كل عصر وحين .

إنني أوافقك تماماً على أن تنشغل بهذه الأشياء ، لكنني لا أوافقك أبداً في أن تجعل هذه الأشياء تؤرقك أو تنغص عليك حياتك ، وذلك لسبب بسيط للغاية ، وهو أن هذه الأشياء لا يعلمها إلا الله ، وهو الذي يدبرها ، وهو وحده الذي يملك النفع والضرّ ، ولا يمكن لشيء أن يحدث في الكون بدون إرادته ، فهو الفعال لما يريد ، وهو عالم الغيب .

إذن ، يجب أن تنشغل بالشق الذي يجب أن تقوم به فقط .. طلب الله منك أن تأخذ بالأسباب لكي تصل إلى تحقيق النتائج ، فما الذي يمنعك ؟ طلب منك أن تعبده وتتقرب إليه لكي يدخلك الجنة .. فما يؤخرك ؟ حتى في الصحة والمرض والرزق والأمور الدنيوية ، طلب منك أن تأخذ بالأسباب ، فنهاك عن الإسراف في الطعام والسهر واللعب ، وأمرك بالاعتدال ، كي لا تتعب أعضاء جسدك ﴿ وكُلُوا

واشْرَبُوا ولاَ تُسْرِفُوا﴾ وقال (ﷺ) :

«المعدة بيت الداء» - وحث الأمة على البكور لكى تنجز أعمالها ، ويذاكر الطالب دروسه ، ويبدأ بالأهم فالمهم وألا يؤجّل الإنسان عمل اليوم إلى الغد حتى لا يصاب بالإحباط والاكتئاب .. فهل استمع الإنسان إلى هذه التوجيهات ؟

لقد لفت نظرى طويلاً حديث رسول الله (ﷺ) : «من أراد الدنيا فعليه بالقرآن . ومن آراد الآخرة فعليه بالقرآن . ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن» . وكنت أسأل نفسى : أنا أريد الدنيا - أى المال والشهرة والنجاح وغير ذلك ، فكيف يكون ذلك عن طريق القرآن ؟ إن القرآن كتاب ذكر وتلاوة وعبادة ، فكيف يجتمع ذلك والدنيا التى هى عبارة عن كدّ وشقاء وتعب ونجاح وإخفاق ؟ ونظرت فى حياة مجموعة من الناجحين فى عملهم فى الدنيا ، فوجدتهم - حتى وإن لم ينتبهوا هم لذلك - ملتزمين بالقواعد العامة الموجودة فى القرآن . فالقرآن يدعو الإنسان إلى الانضباط ، وأنه لا يجنى الثمرة مالم يبذر الحبة ، وأن الجزاء من جنس العمل ، وأن من أرضى الله ، أرضى الله عنه الناس ، وجعل له القبول فى الدنيا والآخرة .

انظر إلى المخترعين والمفكرين والأدباء والمشاهير ، ستجد أنهم - فى جوهرهم - أخذوا بالمنهج القرآنى ، فكتب لهم النجاح . ولذلك نجد القرآن تمتد آثاره لتشمل كافة جوانب الحياة ، فهو ليس من أجل أن يوضع فى حجاب أو على مدخل البيت أو على رف السيارة ، إنما هو من أجل أن يكون دستور حياة ، وأن يتحول الإنسان بكل همته ونشاطه ليستنبط منه ما يسعده فى الدنيا والآخرة .

صديقى العزيز .. الكلام الذى أوجهه إليك ـ صدقنى ـ أوجهه إلى نفسى أولاً . فأنا وأنت فى حاجة إلى أن يذكر كل منا الآخر ، أنا أذكرك لأننى أحبك فى الله ، وأنت تذكرنى لأن بيننا الآن صلة رحم ، فالعلم رحم بين أهله ، وأنا وأنت أحوج ما نكون إلى الذكرى النافعة ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هيا نتعاهد على :

ـ حفظ أسماء الله الحسنى بالمعنى الصحيح الذى أشرنا إليه .

ـ حفظ ما يتيسر من كتاب الله ، والمحافظة على الصلوات فى أوقاتها .

ـ الصدق فى كل الأحوال .

ـ مراقبة الله فى كل ما نفعل .

ـ طاعة الوالدين مهما كان الأمر فلولاهما ما جئنا إلى هذه الحياة .

ـ فعل الخيرات قدر المستطاع ، كمساعدة المحتاج والتعاون مع الأصدقاء .

ـ الاجتهاد فى دراستنا ، لأن فى ذلك إرضاء لله ومصلحة عظيمة لأوطاننا ، فإنه «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة» .

ـ الابتعاد عن الغيبة والنميمة وكل ما يغضب الله .

ـ أن تحترم معلميك وأساتذتك وأن تعرف قدرهم وتدعو لهم .

وختامًا .. أسأل الله أن ينفعكم بما قرأتم وأن يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم .

الفقير إلى ربه : وجيه يعقوب السيد